ثم دخلت سنة خمس وستين وثلثمائة

ذكر وفاة المعز لدين الله العلوي وولاية ابنه العزيز بالله

في هذه السنة توفي المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن المهدي أبي محمد عبيد الله العلوي الحسيني بمصر، وأمه أم ولد، وكان موته سابع عشر شهر ربيع الآخر من/ هذه السنة، وولد بالمهدية من أفريقية حادي عشر شهر رمضان، سنة تسع عشرة وثلثمائة، وعمره: خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً. ج٧/ط/٦٥

وكان سبب موته: أن ملك الروم بالقسطنطينية أرسل إليه رسولاً كان يتردد إليه بأفريقية/ فخلا به بعض الأيام، فقال له المعز: أتذكر إذ أتيتني رسولاً وأنا بالمهدية، فقلت لك: لتدخلن عليَّ وأنا بمصر مالكاً لها؟ قال: نعم. قال: وأنا أقول لك: لتدخلن عليَّ بغداد وأنا خليفة، فقال له الرسول: إن أمنتني على نفسي ولم تغضب، قلت/ لك ما عندي. فقال له المعز: قل وأنت آمن. قال: بعثني إليك الملك ذلك العام، فرأيت من عظمتك في عيني وكثرة/ أصحابك، ما كدت أموت منه، ووصلت إلى قصرك، فرأيت عليه نوراً عظيماً غطى بصري، ثم دخلت عليك فرأيتك على سريرك، فظننتك خالقاً، فلو قلت لي: إنك تعرج إلى السماء، لتحققت ذلك، ثم جئت إليك الآن، فما رأيت من/ ذلك شيئاً، أشرفت على مدينتك، فكانت في عيني سوداء مظلمة، ثم دخلت عليك، فما وجدت من المهابة ما وجدته ذلك العام، فقلت: إن ذلك كان أمراً مقبلاً، وإنه الآن بضد ما كان عليه. ج٧/ط/٦٦ ج٧/ط/٦٧ ج٧/ط/٦٨ ج٧/ط/٦٩

فأطرق المعز وخرج الرسول من عنده،/ وأخذت المعز الحمى لشدة ما وجد، واتصل مرضه حتى مات، وكانت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، منها مقامه بمصر سنتان وتسعة أشهر، والباقي بأفريقية، وهو أول الخلفاء العلويين، ملك مصر وخرج/ إليها، وكان مُغْرَى بالنجوم، ويعمل بأقوال المنجمين، قال له منجّمه: إنّ عليه قطعاً في وقت كذا، وأشار عليه بعمل سرداب يختفي فيه إلى أن يجوز ذلك الوقت، ج٧/ط/٧٠ ج٧/ط/٧١

ففعل ما أمره، وأحضر قوّاده فقال لهم: إن بيني وبين الله عهداً أنا ماضٍ/ إليه، وقد استخلفت عليكم ابني نزاراً - يعني: العزيز - فاسمعوا له وأطيعوا. ج٧/ط/٧٢

ونزل السرداب، فكان أحد المغاربة إذا رأى سحاباً، نزل وأومأ بالسلام إليه، ظناً منه أن المعز فيه، فغاب سنة ثم ظهر، وبقي مديدة ومرض، وتوفي فستر/ ابنه العزيز موته إلى عيد النحر من السنة، فصلّى بالناس وخطبهم، ودعا لنفسه وعزى بأبيه. ج٧/ط/٧٣

وكان المعز عالماً، فاضلاً، جواداً، شجاعاً، جارياً على منهاج أبيه من حسن السيرة وإنصاف الرعية، وستر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة/، ثم أظهره وأمر الدعاة بإظهاره، إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يذم به، ولما استقر العزيز في الملك، أطاعه العسكر فاجتمعوا عليه، وكان هو يدبّر الأمور منذ مات أبوه إلى أن أظهره، ثم سيّر إلى الغرب دنانير عليها اسمه، فرقت/ في الناس، وأقر يوسف بلكين على ولاية أفريقية، وأضاف إليه ما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف، وهي: طرابلس، وأجدابيّة، فاستعمل عليها يوسف عماله، وعظم أمره حينئذٍ، وأمن ناحية العزيز واستبد بالملك/، وكان يظهر الطاعة مجاملة ومراقبة، لا طائل وراءها[1]/. ج٧/ط/٧٤ ج٧/ط/٧٥ ج٧/ط/٧٦ ج٧/ط/٧٧

ذكر حرب يوسف بلكين مع زناتة وغيرها بأفريقية

في هذه السنة، جمع خزرون بن فلفول بن خزر الزناتي جمعاً كبيراً وسار إلى سجلماسة، فلقيه صاحبها في رمضان، فقتله خزرون وملك سجلماسة، وأخذ منها من الأموال والعدد شيئاً كثيراً، وبعث برأس صاحبها إلى الأندلس، وعظم شأن زناتة واشتد ملكهم، وكان بلكين عند سبتة وكان قد رحل إلى فاس، وسجلماسة، وأرض الهبط، وملكه كله وطرد عنه عمال بني أمية، وهربت زناتة منه، فلجأ كثير منهم إلى سبتة - وهي: للأموي صاحب الأندلس - وكان في طريقه شعاري مشتبكة ولا تسلك، فأمر بقطعها وإحراقها، فقطعت وأحرقت حتى صارت للعسكر طريقاً، ثم مضى بنفسه حتى أشرف على

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٤٦)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٦٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٤١، ٣٤٢)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ـ٣٨٠ هـ) (٣٤٨ـ٣٥١)، وذكره أيضاً في «دول الإسلام» (١/ ٢٢٦)، وذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (٢/ ٣٨٣ـ٣٨٥)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٤٥، ٢٤٦)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٩)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٥، ١١٦)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٣/ ٢٠٣)، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ٢٢١).

سبتة من جبل مطل عليها، فوقف نصف نهار لينظر من أي جهة يحاصرها ويقاتلها، فرأى أنها لا تؤخذ إلا بأسطول، فخافه أهلها خوفاً عظيماً، ثم رجع عنها نحو البصرة ـ وهي: مدينة حسنة تسمى: بصرة في المغرب ـ فلما سمعت به زناتة، رحلوا إلى أقاصي الغرب في الرمال والصحارى هاربين منه، فدخل يوسف البصرة.

وكانت قد عمّرها صاحب الأندلس عمارة عظيمة، فأمر بهدمها ونهبها ورحل إلى بلد برغواطة، وكان ملكهم: عبس ابن أم الأنصار، وكان مشعبذاً ساحراً، وادّعى النبوة فأطاعوه في كل ما أمرهم به، وجعل لهم شريعة، فغزاه بلكين وكانت بينهم حروب عظيمة لا توصف، كان الظفر في آخرها لبلكين.

وقتل الله عبس ابن أم الأنصار، وهزم عساكره، وقتلوا قتالاً ذريعاً، وسبى من نسائهم وأبنائهم ما لا يحصى، وسيَّره إلى أفريقية، فقال أهل أفريقية: إنه لم يدخل إليهم من السبي مثله قط. وأقام يوسف بلكين بتلك الناحية قاهراً لأهلها، وأهل سبتة منه خائفون، وزناتة هاربون في الرمال إلى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة[1].

ذكر حصر كسنتة وغيرها

في هذه السنة سار أمير صقلية، وهو: أبو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي الحسين، في عساكر المسلمين ومعه جماعة من الصالحين والعلماء، فنازل مدينة مسيني في رمضان، فهرب العدوّ عنها، وعدى المسلمون إلى كسنتة فحصروها أياماً، فسأل أهلها الأمان فأجابهم إليه، وأخذ منهم مالاً، ورحل عنها إلى قلعة جلوا ففعل كذلك بها وبغيرها، وأمر أخاه القاسم: أن يذهب بالأسطول إلى ناحية بربولة، ويبثّ السرايا في جميع قلورية، ففعل ذلك فغنم غنائم كثيرة، وقتل وسبى وعاد هو وأخوه إلى المدينة.

ج٧/٧٨/ط فلما كان سنة ست وستين وثلثمائة، أمر أبو القاسم/ بعمارة رمطة، وكانت قد خربت قبل ذلك، وعاود الغزو وجمع الجيوش، وسار فنازل قلعة إغاثة، فطلب أهلها الأمان فأمنهم، وسلموا إليه القلعة بجميع ما فيها، ورحل إلى مدينة طارنت، فرأى أهلها قد هربوا منها، وأغلقوا أبوابها، فصعد الناس السور، وفتحوا الأبواب ودخلها الناس، فأمر الأمير بهدمها فهدمت وأحرقت، وأرسل السرايا فبلغوا أذرنت وغيرها، ونزل هو على مدينة

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٤٠)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٤/ ١٧٥)، وذكره ابن عذاري في «البيان المغرب» (١/ ٣٣٠).

عردلية فقاتلها، فبذل أهلها له مالاً صالحهم عليه، وعاد إلى المدينة[١].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة خطب للعزيز العلوي بمكة ـ حرسها الله تعالى ـ بعد أن أرسل جيشاً إليها، فحصروها وضيَّقوا على أهلها ومنعوهم الميرة، فغلت الأسعار بها، ولقي أهلها شدة شديدة.

وفيها أقام بسيلس بن أرمانوس ملك الروم ورداً، المعروف بسقلاروس دمستقاً، فلما استقر في الولاية، استوحش من الملك فعصى عليه، واستظهر بأبي تغلب بن حمدان، وصاهره ولبس التاج وطلب الملك[٢].

الوفيات

وفيها توفي أبو أحمد بن عدي الجرجاني في جمادى الآخرة، وهو إمام مشهور[٣].

ومحمد بن بدر الكبير الحمامي، غلام ابن طولون، وكان قد ولي فارس بعد أبيه[٤].

وفيها، في ذي القعدة، توفي ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي، صاحب التاريخ[٥]/.

---

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٩)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٦).

(٢) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٩)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٦)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٦٢) مختصراً، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٤٣)، وذكره قاضي مكة الفاسي في «شفاء الغرام» (٢/ ٣٥٢، ٣٥٣)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٤٠).

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ ـ ٣٨٠ هـ) (٣٣٩ ـ ٣٤١)، «دول الإسلام» (١/ ٢٢٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٥٤ ـ ١٥٦)، «مرآة الجنان» (٢/ ٣٨١)، «المنتظم» (١٢/ ٢٤٤، ٢٤٥).

(٤) انظر: «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ ـ ٣٨٠ هـ) (٣٢٩)، «تاريخ بغداد» (٢/ ١٠٨)، «شذرات الذهب» (٣/ ٤٩)، «المنتظم» (١٤/ ٢٤١، ٢٤٢)، «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣١)، «النجوم الزاهرة» (٤/ ١٠٩)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٤٧).

(٥) انظر: البداية والنهاية» (١١/ ٣٤٠)، «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٣٥١ ـ ٣٨٠ هـ) (٣٠٤)، «تاريخ ابن الوردي» (١/ ٢٨٩)، «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٦)، «تاريخ الطبري» (١١/ ٤٤٩)، «الوافي بالوفيات» (١٠/ ٤٦٣).